ابنة الأخوين

.____ج (1)_____ .

اعتقدت أنّ الأهل رحمة، لكنّهم أسوأ من نار جهنّم...

أنا هي ابنة الأخوين...

للكاتبة الشّابّة : زهراء النمر

كُتبت هذه القصّة و الدّموع تذرف.

في عصرٍ ليس ببعيدٍ عنّا عاشت فتاةٌ ملائكيّة الجّمال مع جدّتها العجوز بعيداً عن أهلها الّذين تخلّوا عنها بعد معرفة أنّها تعاني مشاكل نفسيّة. فظنّوا أنّها قد تقتلهم حين تغضب بكثرة، مع أنّها كانت ألطف مخلوقٍ عرفتها الأرض يوماً. ليس هذا فحسب، بل قد خاف أبويها من أن يعلم النّاس بحالها. وعندما أحسّوا بالذّعر من كلام النّاس الّذي سيوجّه لهم، وجدوا أنّه من الأفضل أن ينقلوها إلى منزل جدّتها الّتي تعيش على قمّة تلّةٍ شابت على مرّ الأعوام. انتقلت هذه الفتاة المسكينةوهي لا تزال على فكرة أنّهما على سفرةٍ مستعجلةٍ إلى إحدى الشّركات البعيدة، وأنّه لن يطول غيابهم حتّى يأتوا ويصطحبوها إلى المنزل. وأختها الكبرى، فهي أيضاً ستذهب معهم على أمل أن تجد عملاً يلائمها. فأحسّت الفتاة بالطّمأنينة عند جدّتها، على الرّغم من أنّها كانت كثيرة الخوف من كلّ شيء. فهي لا تستطيع أن تجلس وحيدةً في أيّ مكان، حتّى أنّها تخاف من الهواء إن مسّ شعرها. فقد وجدت نفسها في عزلةٍ كما تحب، وهي الّتي كانت دائمة التّسكّع في زاويةٍ آمنةٍ من الغرفة.،تنظر لأمامها بكلّ تمعّن، تتكلّم عن الّاشيء، وتتصرّف بغرابة. وهذا ما جعل أبويها يخافان ويقلقان. حتّى أنّهما تجنّبا أخذها إلى طبيبٍ نفسي خوفاً من أن يعلم أحدٌ بشأنها فينشر الخبر في جميع الأرجاء، فيهان وجه الأب وتطمر كرامة الأمّ تحت التّراب. حزموا أمتعتها ورموها عند جدّتها كباقي الحقائب،حتّى أنّهم لم يقولوا لها متى موعد عودتهم بل اكتفوا بقول أنّهم على سفرةٍ مستعجلة.

راحت الفتاة صوب جدّتها الّتي لم تكن تعلم بمرضها، لكنّها كانت على علمٍ بأنّها ستمكث معها طوال العمر. فراحت تداعب العجوزة هزيلة الحال، و تقرأ لها قصصاً عن الحزن طوال الوقت، إذ إنّه لم يكن هناك هاتفٌ أو تلفاز. ليس لأنّه لم يخترع بعد لكن لإنّ الجدّة لا تحب أن تعيش بعصر محاطةً بالأجهزة الذّكيّة. لكنّ جدّة الفتاة ما كانت تحبّ هذه القصص، فأحسّت الفتاة أنّها لم تعجبها. فبدأت تقرأ لها قصصاً مرّةً رومنسيّة وأخرى مضحكةً ذات عبر. ومع ذلك رفضت جدّتها رفضاً قاطعاً أن تقرأ القصص مرّةً أخرى، ليس لها فحسب بل لنفسها أيضاً. وكان السّبب أنّها خافت أن تكون الفتاة كجدّتها. وهي الّتي كانت في صغرها تمضي وقتها كلّه بين طيّات الكتب، ترقص على أنغامٍ باتت تتكلّم عن الحبّ حيناً وعن الفروسيّة في باقي الأغنية وتضحك في النّهاية وتختم ألحانها بورودٍ تتألّق على خدودها بعد أن أحسّت أنّها ليست وحيدةً بوجود الكتب الّتي تحاوطها

عن يمينها وشمالها. لكنّ المشكلة أنّها كانت تعيش الحكايات في الواقع، وبمعناً آخر أنّها كانت إن قرأت كتاباً عن المغامرة تحسب نفسها هي المغامر وتقوم محاولةً القفز عن الجبل أو أن تتسلّق أعالي الأشجار أو حتّى أن تأكل الحشرات كما يفعل محاولوا البقاء على قيد الحياة في منتقةٍ نائية. ولذلك حرق أهلها جميع الكتب في المنزل، وزوّجوها لشخصٍ أكبر منها بأعوام على أمل أن تعقل من جهة، ولتطبيق العادات من جهةٍ أخرى...

فانتاب هذه الجدّة شعورٌ مخيفٌ بأن تكون حفيدتها مثلها، وأن يعلم أبويها إن كانت حقًّا كذلك...

راحت الجدّة تستجوب الفتاة قائلة :" ابنتي، هل تعجبك هذه القصص أم أنّك تقرئينها لتمضية الوقت وحسب؟"

- كلّا يا جدّتي، إنّي أقرأها كي أتثقّف لا أكثر ففي هذه القصص أشياء كثيرةٌ جيّدة، وأنا أحاول جمع أكبر كمٍّ من المعلومات لكي أبدأ مسيرتي بكتابة روايةٍ يُحكى باسمها من قِبل جميع الأجيال. إنّه لحلمٌ كبير، وهو يحتاج الكثير من الجهد والوقت. ولهذا أنا أحتاج إلى كلّ أنماط الرّوايات التّاريخيّة المرموقة كي أدرس بنيتها وأعمل على تطبيقها في روايتي.
- هذا هو هدفك إذاً! ولكنّي أودّ أن أنسج سؤالاً آخر : الآن، لو سنحت لكِ الفرصة أن تصبحي أميرةً أو بطلةً كأبطال هذه الرّوايات، أستقبلين الفرصة أو أنّ عقلك سيبقى في رأسك؟
- وهل هو من الجنون أن أحسب نفسي أميرةً جميلةً أو قويّةً مغوارة؟
- إنّي قد سألتك سؤالاً واحداً يابنتي فهل يمكنك الإجابة عنه وعدم طرح واحدٍ آخر؟ أو أنّك تحاولين الهروب من الرّد؟
- كلّا، إنّي لست بهاربةٍ يا جدّتي، ولكن قد أثار فضولي ما قلته في نهاية حديثك وأردت أن أعرف ما إن كان من الجنون فعل هذا. ومع ذلك، أجل لو سنحت لي الفرصة لأصبحت أميرةً أو شبيه هذا. ولكنّ الأمر بعيدٌ وليس بمتناول يدي الآن. لذا لا تقلقي، فإلى ذلك الوقت تكون ساعتنا قد حانت.
ومع ذلك لم يَشبع جوع أسئلة الجدّة وما زالت محتارةً أن تخبر أهلها أو تنسى الأمر برمّته، أو تحرق الكتب كلّها وتمنعها عن القراءة. أوهل إقدامها على حرق جميع هذه القصص الرّائعة صواباً؟ لكنّها واست نفسها وداعبت شعرها

وقالت:"إنّ ما يساور ابنتي من تخيّلاتٍ وأوهامٍ بسبب هذه الكتب الّعينة سيقودها نحو الجّنون التّام. لذلك فإنّ عزلتها وتحديقها بالحائط أفضل وأرحم. فمن الآن وصاعداً لن يدخل أيّ كتابٍ إلى بيتي هذا.
وفي هذه الأثناء كانت الفتاة لا تزال تتأمّل عيني جدّ تها الّتين راحتا تتأرجح يمنةً ويسرى، وفوقهما هلالان مرتفعان مستغربان. فبادرت الفتاة بالحديث وأنشدت :"ما بالك جدّتي؟ سؤالك وقد أجبت عنه، وإن كانت المشكلة هي الكتب فسأتوقّف عن قرائتها، وها أنا ذا أعدك وعد الخنصر وهو الأقدس ولا أستطيع أن أخيس به وعداً أنّي لن أقرأ كتاباً طوال فترة إقامتي هنا، وإنا أعتقد أنّها لبست بطويلة إذ إنّ أهلي لا يطيلون غيابهم عنّي."
حسنٌ يا حبيبتي، والآن أخبريني عن روايتك الّتي ذكرتها قبل قليل.

- بصراحةٍ يا جدّتي لست أدري ماذا أكتب، أريد أن أكتب شيئاً جديدًا ومتنوّعاً،شئًا لم يقرأه أحدٌ من قبل. لكنّ الافكار تهرب منّي كلّما وجدتها...
- حسنًا يا عزيزتي، والآن دعينا نحضّر العشاء معًا، وسأعلمك كلّ شيءٍ عن أسرار المطبخ، فلربّما غيّرتي نظرتك وكتبتي روايةً عن عالم الطّبخ.
- إنّه لشيءٌ مستحيل، لكنّي سأحفظ كلّ كلمةٍ تقولينها.

وعندما امتصّ اللّيل ألوان الحياة الزّاهية وجعلها سوداء يتألّق من بينها قمرٌ ساطعٌ استرقّ النّجوم عبيدًا له، راحت الفتاة تفكّر وتفكّر ومن أدراه فيما تفكّر؟ فهي مشوّشة العقل كما تعلمون بسبب حالتها النّفسية.

عندها راودها شعورٌ بالرّسم، وهي كانت من عشّاق الرّسم،فقد كانت إن أحبّت شخصًا ما سارعت إلى نقشه على دفترها كي تخلّد وجهه بعيدًا عن جميع النّاس. لذلك أرادت أن ترسم جدّتها، فراحت وجلست على الكنبة في غرفة المعيشة الّتي زُيّن حائطها بصورة الجّدّة وزوجها، وهي كانت لا تزال شابّةً آن ذاك. حلى لهذه الفتاة أن تلعب بأقلامها هنا وعند منتصف اللّيل بمفردها، ومع أنّها كانت خائفةً مرتعبك. أوليس من حقّها أن تخاف وهي تعيش في منطقةٍ نائيةٍ مع جدّتها هزيلة الحال؟ لكنّها تمالكت نفسها. راحت أقلامها ترقص على الورق البيض فتجعلها لوحةً تستحقّ أكبر تقدير.

فجأةً ومن العدم سُمع صوتٌ قريب، كأنّما بأقدامٍ تمشي خطوةً إلى الأمام واثنتين إلى الخلف، كانت متردّدة " أفتح الباب وأسلّم على الحضور، أم أبقى خارج الموضوع

وأذهب مع الرّيح؟" هكذا كانت تحكي الخطوات مع الأرض. والفتاة المسكينة خائفةٌ لم تفهم الحديث، فما عساها تفعل الآن؟ أتستنجد بجدّتها صارخةً بأعلى صوت؟ أو تستجمع قواها وتفتح الباب وترى من بالخارج؟

وفي خضمّ هذا كلّه خطر ببالها المثل القائل(بين الجّبن والتّهوّر تلقى الشّجاعة) فبرزت نفسها تتفلسف وتقول "عليّ القتال، فإن لم يكن هجومي جبنًا وهو بالتّأكيد ليس كذلك فهو أيضًا ليس شجاعة، لكنّه سيحمل صفة التّهوّر وأنا أقبل به إذ إنّه سيكون سببًا لروايةٍ عظيمةٍ سأكتبها أنا"

ودفعت نفسها كنارٍ ملتهبةٍ نحو الباب قابضةً على خشبةٍ كانت لا بدّ من أن تكون طعامًا للموقدة، لكنّها الآن ستخوض عراكًا ملحميًّا. فتحت الباب بقوّةٍ ولوّحت بالخشبة كي تضرب المجهول... وإذ بلا شيء يقف أمامها، يطير مع النّسمات كما طارت أحلامها وتبخّرت. ولكنّ دموعها انهمرت على تفّاح خدّيها، وصارت تصرخ بصوتٍ خافتٍ كيما تسمع جدّتها، وكأنّ كلّ ما حدث لم يوقذ العجوز بعد...

كانت جدّتها قد وصلت لعندا فقالت لها بنبرةٍ حزينةٍ على حالها وغاضبةٍ على فعلها " ما بالك أيّتها الصّغيرة ؟ ألا ترين أنّ الّيل في منتصف غفوته؟ والأهمّ من هذا لماذا أنت باكية؟ أجيبي، قد أذابت قلبي دموعك!"

-جدّتي!

واكتفت بقول هذه الكلمة بكلّ انكسارٍ وحزنٍ وتأوّه.

- حسنًا يا حبيبتي . تعالي لتنامي بقربي الآن وامسحي دموعك وإلّا ستنامين مكانك على الأرض.

وهكذا استطاع الّيل أن يكمل نومه أخيرًا بعد توقّف أنين الفتاة وبكائها. في حين أنّ نومته لم تطل، إذ إنّ الصّباح حلّ بوجهه الأصفر المريض، وقد أحسّ الدّيك أنّ المواقيت ستتقاتل فصاح بأعلى صوته معلنًا الفائز، وهو بلا شكٍّ الصّباح.

استيقظت الجدّة وما شائت إزعاج حفيدتها، فراحت تمشي على رؤوس أصابع أقدامها، ومضت نحو المطبخ لتعدّ أشهى فطورٍ ريفي. وما إن انتهت من التّحضير حتّى حان لصوتها أن يظهر نفسه، فنادت بصوتٍ قوي " تعالي يا صغيرتي، لقد انتهيت من تحضير الفطور." فلم تكد تكمل جملتها حتّى رأت معبودة الجّمال تقف أمام ناظريها

بشعرها البرتقالي الّامع وبستان عينيها الأخضر، والنّمش على كامل خدّيها الّذي حوّل وجهها إلى فراشةٍ تطفو في منزلٍ على حافّة جرف. فراحت كلٌّ تحدّق بالأخرى، وهنا ما كان من الفتاة سوى أن تنطق بأيّ كلمة " صباح الخير جدّتي!" بصوتها الشّجيّ أردفت، ونبرتها هذه هو الّذي جعل قلب جدّتها يفرح ويتأكّد أنّها نست كلّ ما حصل ليلة أمس وكلّ ما عاشته. ومع ذلك فهي لا تزال تودّ التّكلّم فيما حصل ليلتها وما رأت أو سمعت، فسطع السّؤال من بين شفتيها مستجوبًا " ليلة أمس..." وما كادت تنطق هذه الكلمة إلّا وجاءها الجواب "سرق النّوم من عيوني وأردت أن أرسمك، فلم يكن عندي أيّ صورةٍ لك سوى تلك المعلّقة على حائط غرفة المعيشة. وفي وسط زهوي بالأقلام والألوان سمعت صوت وقع أقدام أحدهم ولم أستطع رؤيته إذ إنّ الباب كان مغلقًا، وعندما استجمعت قواي وفتحت الباب لم أجد أحدًا يقف أمامي سوى التّخيّلات. "

وبعد هذا البوح اصفرّ وجه الجدّة وكأنّما الشّمس أتت كي تتناول الفطور معهم، وغرقت عيونها بالأفكار واحتارت. بدأت ترجف بشدّة، لكنّ الفتاة لم تنتبه لكلّ هذا ، وحاولت أن تفهم شيئًا من جدّتها فقالت" هل من أحدٍ يقطن في هذه المنطقةٍ غيرنا؟ " وهنا نست الجدّة خوفها وتأكّدت أنّ حفيدتها لم ترى أحدًا لا يجدر بها رؤيته، فأجابت " لا يوجد أحدٌ يعيش هنا سوانا نحن الإثنتين، وإن أردت أن تسلّي روحك بشيء فيمكنك أن تذهبي إلى الغابة المجاورة."

- إنّهل لفكرةٌ عظيمة. سأرتّب المنزل وأذهب ،لربّما استوحيت بعض الأفكار من أوراق الأشجار.

وما هي إلّا سويعاتٌ حتّى انتهت من جميع أعمالها، فحملت الدّفتر والقلم وراحت تركض نحو الغابة. عندما وصلت هناك فتّشت جميع أرجاء المكان، إمّا بحثًا عن بعض الأصدقاء أو حيواناتٍ تلعب معهم، لكنّ الحياة من جميع أنواعها كانت معدومة، وكأنّ لا أحد يودّ العيش هنا. فمضت ومضت حتّى تعبت قدماها من المسير وجلست في مكانٍ ظليل. فتحت دفترها وهزّت القلم يمينًا وشمالًا باحثةً عن الإلهام لكنّه اختبئ، فأغلقته حين رأت أنّه لا جدوى من تركه مفتوحًا إن لن تكتب شيئًا فيه. وقفت متوجّهةً نحو المنزل، عندها سمعت صوتًا قريبًا منها، وكأنّ الأوراق المرميّة على الأرض تتاوّه إزاء خطوٍ عليها. ارتعدت الفتاة وتسمّرت في مكانها دون حراك، والصّوت يقترب و يقترب والخطر يحدق بها أكثر وأكثر، وهي واقفةٌ لا تعرف ما العمل

"أمسكت بك..."

هذا الصّوت جعل جسم الفتاة يرقص خوفًا، فصرخت بأعلى صوتٍ لديها، لكنّ الشّبح خلفها غطّى فمها كي لا يسمع أحدٌ صراخها الموحش. وبعد أن هدأت الفتاة نظرت خلفها وإذ بفتاةٍ شقراء رائعة الجّمال تبتسم لها وقالت " ظننت أنّي الوحيدة مع أبي هنا، لكنّك تعيشين هنا أيضًا."

فردّت الفتاة بصوتٍ يرجف كحالها " أجل، أنا أقطن مع جدّتي، لكنّها قالت أن لا أحد يعيش هنا سوانا"

- لقد جئت البارحة مع أبي كي نمضي بضع أيّامٍ، إذ إنّه يقول دائمًا أنٍ العيش بين أحضان الطّبيعة يساعد النّفس و العقل على الإسترخاء.
- وأنا لست بمقيمةٍ دائمةٍ، بل جئت منتظرةً أهلي أن يعودوا من سفرهم ونعود إلى منزلنا في المدينة.
- حسنٌ إذًا. ولكن لم يكن تعارفنا جيّدًا، لذا لنبدأ من جديد... أنا أدعى هيلغا ومعناه المقدّسة أو الرّاهبة، وأنت؟
- إسمي ليس بجمال اسمك، لكنّه آيزيلينغ ولا أعرف ما معناه، وبالحقيقة لا أريد أن أعرف لأنّي لا أحبّه.
- هل جننتي؟! إنّه أفضل اسمٍ بالتّاريخ ومعناه أفضل منّي واسمي مجتمعين.
- يا لرّوعة! وما هذا المعنى الرّهيب هات شوّقتني.
- الأحلام ،وهل من شيءٍ أجمل منها؟ إنّها لأجمل شيءٍ عرفته الإنسانيّة يومًا!
- حسنًا، أعترف أنّ معناه جميللكنّ نطقه سيّء وأنا لا أطيقه.
- أنت حقًّا مجنونة ،ولكن هل قلتي أنّ أهلك سافرا إلى بريطانيا؟
- أجل.
- آهٍ ما أحلاها! أودّ أن أذهب إليها يومًا. هل تعلمين أمرًا؟
- ماذا؟
- أنّ إسمينا أنا وأنت أصلهما بريطاني. إنّ اسمي "هيلغا" ويمكن لفظه "أولغا" وهو من الأسماء الشّائعة هناك. أمّا اسمك فهو أيضًا كذلك.
- يا لمحاسن الصّدف. ولكن أخبريني، والدك طبيبٌ نفسي؟ لأنّك ذكرت شيئًا عن قوله أنّ الطّبيعة تساعد النّفس أو ما شابه.

- محلّلةٌ عظيمة! أجل إنّ والدي طبيبٌ معروف، درس خارج البلاد وفتح عيادته هنا.

وما كادت هيلغا تكمل كلامها حتّى اعتذرت منها آيزيلينغ وأخبرتها أنّ جدّتها وحيدةٌ تنتظرها في المنزل. فتعانقت الفتاتان وذهبت كلٌّ منهما إلى بيتها.

"جدّتي جدّتي!! " هكذا دخلت آيزي لينغ تصرخ

"ما بالك يا عزيزتي؟ " قالت الجدّة بصوتٍ متفاجئٍ

- قد التقيت فتاةً بعمري اليوم وأنا بالغابة، هي قد انتقلت البارحة مع أبيها كي يمضوا بضعة أشهرٍ هنا.
- وما اسم تلك الفتات؟
- هيلغا
- وهل قابلت والدها؟
- كلّا،لكن لماذا؟
- لا شيء، مجرّد سؤالٍ عادي. والآن دعينا نحضّر العشاء.

عندما انتهيا من هذا وجلستا على المائدة لم تتحدّث إحداهنّ مع الأخرى. كانت الأسئلة تحاوط وجه العجوز، والتّعجّب من حال جدّتها حاوط وجه الفتاة. وحين انتهيا من هذا كلّه، ذهبت كلّ واحدةٍ إلى مضجعها كي تنام. وبعد بضع ساعت استيقظت آيزي على صوت زجاجٍ قد كُسر، وكان الصّوت صادرًا من المطبخ، وقفت الفتاة والكأس بيدها كي تضرب المجهول، تقدّمت ببطئ حتّى أصبحت قريبةً من باب المطبخ فاستجمعت قواها وفتحت الباب بقوّةٍ راميةً الكأس أماما وإذ بالكأس تستضم برأس فتًا لم تره عينها من قبل. فالتقت العيون وتسمّرا مكانهما لحين بدأت الفتاة المرعوبة تصرخ مستنجدةً بجدّتها "سارق سارق جدّتي!!"

- ماذا؟ لست سارقًا، اصمتي يا فتاة!

حاول الفتى أن يهرب بعيدًا لكنّ العجوز سارعت لإنقاذ حفيدتها، وما إن رأته حتّى ارتعدت أبدانها وقالت بصوتٍ خافتٍ " ماذا تفعل هنا؟!" سمعت الفتاة جملتها فاستنكرت بصوتٍ عالٍ " وهل تعرفين من يكون؟" والصّمت يعمّ المكان" أجيبي جدّتي هيّا إنّي بانتظار جوابك" لم يكن باليد حيلة سوى أن تنطق شفاه الجدّة "هذا

أخوك..." الصّدمة الكبرى، حقيقةٌ جعلتها تقع على الأرض باكية "أخي، من أخي إنّي لا أملك سوى أختٍ واحدة"

- كلّا يا ابنتي، إنّ هذا أخوك" ستثن".

بدأت ترجف أكثر، فبادر أخوها وحاول حملها عن الأرض لكنّها دفعته بقوّةٍ ونفثت بوجهه نارًا " لست أخي ولن تكون أيّها الحقير؟! " ومن شدّة الخجل والحزن ركض الفتى إلى الخارج يبكي ربّما.

ذهب الّيل بسرعة ولكنّ الصّباح لم يكد يتنفّس إلّا بوجود الفتاة فوق رأس جدّتها. فتحت العجوز عينيها فانهالت عليها آيزي سؤالًا تلوى الآخر

"هل حقًّا هو أخي؟ وكيف يعقل؟ لم يحدّثني عنه والداي مطلقًا! أصحيحٌ ما قلته البارحة أم أنّي كنت أحلم؟ أكان ذلك كلّه حلمٌ أم مزحة؟ هل تذكرين ما حدث البارحة أم أنّه من نسج خيالي كي أكتب روايتي؟

- لن أجيب على أسئلتك إلّا بعد أن تحضّري الفطور ونجلس نحن الثّلاثة على المائدة.
- وهل سيجلس معنا ذلك الأخرق؟!
- لا تشتميه يا فتاة! اذهبي هيّا.

ومع أنّها ذهبت مطئطئة الرّأس والدّموع تملأ عينيها، لكنّها أبت أن تبكي بل وأصرّت أن تعرف الحقيقة كاملة. فقامت بإعدادها خلال دقائق وندهت جدّتها وذاك الفتى. قدمت جدّتها وبرفقتها الصّبي وجلسوا، لكنّ لسان الفتاة لم يستطع الصّبر أكثر فتحدّثت تخاطب جدّتها " أَي جدّتي، قلت أنّك ستخبرينني القصّة كاملة إن حضّرت الفطور. فها هو الفطور وها أنا هنا، لذا من فضلك تكلّمي."

- ابنتي، من حقّك أن تعرفي وما عاد بإمكاني السّكوت أكثر إذ إنّك رأيته. لكنّ القصّة معقّدة ولا أعتقد أن تفهميها، لذا سأبسّطها لك قدر المستطاع. ابنتي، أمّك قد أحبّت شخصًا قبل أن تتزوّج والدك، لكنّها تزوّجت والدك وهي لا تزال تحبّ ذاك الشّخص، وأخوك هذا هو من أمّك فقط ووالدك ليس والده.
- المعنى أنّ هذا الفتى من ذاك الشّخص الّذي أحبّته أمّي؟ولكن هل أبي على درايةٍ به؟

- أجل يعلم، لأنّها قد أنجبته بعد زواجهما بعدّة أشهر، لذلك شكّ أبوكي بأمره وقام بتحليلٍ ليتأكّد أنّه ولده وعندما صدرت النّتيجة وعلم أنّه ليس ابنه حاول جاهدًا أن يعطيه لأحدٍ يعتني به، أمّا أمّك فلم توافق على فكرته وقالت له أنّها ستربّيه هيا وإن لم يحب فيمكنه أن يطلّقها. وأبوكي كعادته فكّر بكلام النّاس عنه وأنّهم سيقولون أنّه طلّق زوجته بعد أشهرٍ من زواجهما، وسينشر سيطه بين القوم جميعًا، وعاد يصرّ على إعطاءه لأحدٍ يرعاه. وبعد عدّة مشاجراتٍ وقتالاتٍ بينهما قالت له أنّها موافقة ولكن على شرط أن تعطيه لمن تحبّ هي، فوافق هو الآخر.
- لكنّها كذبت عليه وأعتطك إيّاه، أليس كذلك؟
- صحيح، وهي ترسل لي نفقاتٍ كلّ أسبوعٍ لأجله.
- جميل! إن كان هو كذلك فماذا يأكّد أنّني ابنتهما؟ لماذا لا يكون أبي قد أراد أن يفعل مثل أمّي واحدةً بواحدة؟
- كلّا لن يفعل، فهو يضع كلام النّاس قبل نفسه دائمًا، فماذا لو رآه أحدٌ يدخل إلى منزل فتاةٍ أو يتكلّم معها؟ إنّه لا يستطيع فعل مثل هذا.
- والآن ماذا، هل سأضطرّ أن أعيش مع (أخي) لحين يعود والداي؟
- لن يعودا.

من دون تفكيرٍ قالت...

- مهلًا ماذا؟ لن يعودا؟ قالا إنّهما سيأتيان من السّفر ويأخذاني!
- أيّ سفرٍ هذا؟ قالا لي أنّك ستعيشين معي بقيّة حياتك.
- ولماذا سأبقى هنا؟ ما ذنبي؟ وتقولين لي أنّي ابنتهما، أيّ أهلٍ يفعلون هذا بابنتهما إن كانت حقًّا كذلك؟ ترين جدّتي، إنّي مثل هذا الفتى أمامي، لكنّي لست حزينة حزينة لأنّي وأخيرًا قد تحرّرت من قيودهما، ولا أمانع أن أبقى وأتعفّن هنا.
- انتبهي لألفاظك! أنت ابنتهما ولكنّي لا أعلم وا أصاب عقليهما وجعلاك تبقين هنا.
- (عقليهما) وما أجمل هذه الكلمة، لكنّها كانت لتبدو أجمل على أحدٍ يملك عقلًا فعلًا.
- احترمي نفسك أيّتها الوقحة، إيّاك أن تقولي مثل هذا عن ابنتي!

- آهٍ يا جدّتي كم أنّك ظريفة، وأنا الّتي كنت أسأل من أين تعلّمت أمّي النّكات... عن أيّ ابنةٍ تتكلّمين! أجيبي! عن الإبنة الّتي خانت زوجها؟ أم عن الابنة الّتي رمت طفلها في غابةٍ متعفّنةٍلا يوجد مخلوقٌ فيها؟ هيّا أجيبي عن أيّابنة؟ لو كان لابنتك ضميرٌ لما أنهت حياتي ومستقبلي راميةً إيّايَ هنا!
- اخرسي... إنّها أمّك إن لم يكن عندك احترامٌ لها فأنا سأعلّمك الإحترام أسمعتي؟!
- ويا ليتك علّمتها إيّاه من قبلي، لكانت علّمتني بعضًا منه من بعدك!
- اخرجي من بيتي؟!
- سأذهب ولكن اعلمي أنّي لن أعود إليكي أو لأهلي مطلقًا.

ومن شدّة غضب الجّدّة وقعت على الأرض واحمرّ وجهها، فساعدها حفيدها واعتنى بها كما كان يفعل دائمًا. أمّا آيزي فقد أمضت ساعاتٍ من المسير وحيدةً في الغابة، مشت وهي لا تنظر أمامها، فكّرت كثيرًا "أخي! وما هدف حصولي على أخ؟ ولكن لما لم يخبراني أبواي عنه؟ وكيف ينكنهما إخباري وهما دائما القلق أن أبوح بأسرارهما لأحد؟ وكأنّي فعلت هذا يومًا..."

وفجأةً توقّفت عن المسير والحديث مع نفسها ونظرت أمامها، وإذ بمنظرٍ خلّابٍ نحت أمام ناظريها، ومع ذلك لم تنسى الفتاة حزنها بل وقعت على العشب تبكي وتسقي الورد من دموعها. فيا عالم أبشر ويا أرض التمّي لأنّ الأميرة البلكية عادت إليكي تحمل الآلئ بين أكفّ جفنيها! لكنّها ما عادت تحسّ بشيء وكأنّ العالم اختفى والأصوات تبخّرت، فبدأت تفكّر فيما أحزنها لكنّها لم تجد أيّ أمرٍ يدعو لهذا الحزن الشّديد. وعندما أحسّت أنّ الحياة لا تزال تمضي وأنّها لم تؤذها بشيء فرحت وراحت تركض في أرجاء هذه البقعة الرّائعة. عندها التقت بصديقتها فسلّمت عليها أحرّ سلام، راحت الفتاتان تتحدّثا معًا إلى أن أنستهما الكلمات أنّهما داخل غابةٍ يعجّ ليلها بالذآب ،وماذا ستفعل آيزي الآن وهي قد نست طريق العودة؟ وعندما علمت هيلغا أنّ صديقتها لا تعرف الطّريق إلى بيتها أصرّت عليها أن تبيت عندها هذه الّيلة وعندما يحلّ الصّباح يصبح باستطاعتهما أن يبحثا عن المنزل. فوافقت آيزي إذ أنّه لا يوجد لديها خيارٌ سواه. وبعد دقائق معدودةٍ من المسير وصلتا إلى بيت هيلغا، فأخذت آيزي تحدّق به لأنّ مظهره كان غريبًا لكن ظريف وهو صغيرٌ مقارنةً بمنزل جدّتها. دخلتا ،وندهت هيلغا والدها وأرته صديقتها، لكنّه لم يرحّب بها مثلما يرحّب بباقي ضيوفه، بل أخذ يحدّق بها كأنّها شبحٌ خرج من فلم رعب، ليس لأنّ مظهرها يدعو للخوف بل لأنّه ما كان يجدر بها المجيء إلى بيته.

فسألها عن اسمها مع أنّه يعرفه، فأجابته، وهنا تدخّلت هيلغا وقالت له أنّ آيزي ستنام عندهم الّيلة لأنّها قد أضاعت طريق منزلها. ومن دون أن يشعر الأب قال " هو المنزل الّذي يبعد بضع كيلو متراتٍ من هنا، وهنالك شجرة صنوبرٍ كبيرةٌ أمامه، وهي أكبر شجرةٍ في كلّ الغابة" فصدمت الفتاة من كلامه وقالت تخاطبه" وكيف لك أن تعرف كلّ هذا فجدّتي لا تعرف أحدًا هنا؟"

... صمت...

لكنّ الأب يعلم دائمًا كيف يخرج نفسه من المآزق، فجاوبها" في هذه الغابة لا يوجد سوى بيتين بيتي وبيت جدّتك، وإنّي لم أكن أعلم من يقطن هناك، وها أنت ذا قد أخبرتني أنّك تقطنين وجدّتك في ذلك المنزل"

فاقتنعت الفتاة وما سألته أيّ سؤالٍ آخر. وبعد برهةٍ من الوقت وبينما كانت الفتاتان في الغرفة تتسامران الأحاديث، نده الأب لابنته وطلب محادثتها بعيدًا عن مسمع آيزي. وعندما خليا بمفردهما أردف الوالد قائلًا" عليك الإبتعاد عن هذه الفتاة. ستمضي الّيلة هنا وأنا سأوصلها إلى منزلها غدًا، وبعدها ستقطعين علاقتك بها نهائيًّا."

- ولماذا ؟
- لأنّها وريضة، مصابةٌ بعقلها، ليست طبيعيّة!
- وما أدراك؟
- وما أدراني برأيك؟ أوهل أبدو لك كمنجّمٍ أو عرّاف؟ أنا طبيب وعندي عيادة، فكيف سأعرف أنّها مصابةٌ بعقلها.
- أتقصد أنّها أتت لعندك؟
- تحليلٌ منطقي، كم أنّك ذكيّة! بالطّبع أتت لعندي، لكنّها لا تعلم أنّها كذلك.
- وكيف هذا؟
- لقد أخبرت والديها وعندما علما لم يشاءا إخبارها.
- الآن فهمت. ولكن أجب لماذا تريد أن أتركها؟
- لأنّها مريضةٌ نفسيّة، منفصمة، مجنونة، أتريدين سببًا آخر؟
- لكنّها سليمةٌ الآن يا أبي، فهي إنسانةٌ طبيعيّةٌ ولم تفعل شيئًا يدلّ على جنونها.

- وهل تريدين منها أن تقف على أعلى شجرةٍ وتصرخ "أنا مجنونة" ؟ ما بالك؟ بالتّأكيد ستبدو كذلك. والآن كما أخبرتك، تمضي هذه الّيلة تذهب إلى أهلها وتنسينها، مفهوم؟
- كلّا لن أتركها. إنّها الشّخص الوحيد الّذي أحبّني مباشرةً دون أن يسألني عن هذا الشّيء على وجهي أو أنّ لون عيني اليمنى يختلف عن اليسرى، فهي تقبّلتني كما أنا.
- يا لحلاوة الصّداقة وقوّتها! إنّي لست بسائلك عن كلّ هذه التّفاهات، أنا آمرك أن تتركيها. كفّي عن هذا وعودي لرشدك؟!

فوصلا إلى هذا الحدّ من الحيث وتفاجآ بدخول آيزي الغرفة لترى ما إن حدث لهما أيّ مكروه لأنّهما قد أطالا بقائهما في الغرفة. فوجدت هيلغا دخول صديقتها مهربًا من عناد أبيها، لذا أخبرتها أن تذهبا لتحضّرا لهذه الّيلة الرّائعة. انتقوا الفلم الّذي سيشاهدونه الّيلة وجلسوا ثلاثةً معًا، وهذا شيء جديدٌ على هيلغا، لأنّها عاشت دائمًا مع والدها ولم ترى وجه أمّها ولو لمرّةٍ واحدة. ومع أنّ الفلم قد بدأ لم يشاهده أحد، بل وجدوا التّحديق ببعضهم أفضل منه. ظلّوا ينظرون بعيون بعضهم، فمثلًا كان تلاقي أو تحديق عيون الإبنة والأب كالحرب العالميّة الثّالثة، فكانت عيون الأب تودّ لو تصرخ بابنته قائلة "اتركي هذه الفتاة اتركيها! سنقع في أكبر المآزق إن لم تتركيها." لكنّ ابنته كان لها رأيٌ آخر، فكانت إليه باستهزاءٍ كبير. أمّا آيزي المسكين فكانت تارةً تنظر إليهما وتارةً للتّلفاز... وعندما انتهوا من ما هم عليه، ذهب الأب لينام والفتاتان إلى غرفة هيلغا.

"هل التقيت والدي من قبل؟ "سألت هيلغا

- ظننت أنّي رأيته من قبل وأحسست أنّ وجهه مألوف، لكنّي لا أذكر أين رأيته.
- قال لي أنّك ذهبت لعنده ووالديك.
- هذا هو إذًا! إنّه الطّبيب الّذي ذهبت لعنه قبل مجيئي لهنا.

وبعد مرور وقتٍ طويل حلّت حبال الشّمس الصّفراء تداعب الوجوه النّاعمة فاختلط بعضها بشعر هيلغا فأيقظتها. وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها نائمةً على الكنبة وآيزي على الأرض أمامها بشكلٍ مضحك، فانهالت ضحكًا وعمّت قهقهتها أرجاء الغرفة، ومن صوتها استيقظت آيزي فزعةً تحاول استيعاب ما يحصل، فعندما رأتها تضحك بشدّةٍ ضحكت معها وهي لا تعلم السّبب. انتهيا من الضّحك ونزلتا تبحثان عن

والد هيلغا فعندما وصلتا أمام غرفته الّتي كان يصدر منها صوتٌ قوي وكأنّه كان يتشاجر مع أحد ولكنّه كان بمفرده هناك، لذا فهمتا أنّه يتحدّث على الهاتف . لم يريدا التّنصّت لذا كانتا ذاهبتين، وبينما هما كذلك سمعتاه يقول "... أعلم أنّه لم يكن يجدر بي إدخالها المنزل ولكن ماذا عساي أفعل؟ أخبرتك أنّها غلطة وأنّي أخبرت تلك ابن... أن تتركها..." لم نعلم ما هي تلك الكلمة، لماذا أخفض صوته عندما قالها؟ لكن لم يأبه أحدٌ لتلك الكلمة، وكان هذا الحديث الّذي سمعته آيزي كالصّاعقة، ركضت نحو الخارج تبكي وتصرخ، كانت تركض بأقصى سرعتها ولا تريد أيّ أحد. وقفت وأمامها حافّة جرفٍ خطيرةٍ،نظرت لتحت والفضّة تغطّي عينيها فحسبت الوادي بستانًا من الزّهور الرّماديّة. فتحت يديها وهي عازمةٌ على القفز، فسحبها شخصٌ من الخلف "من هذا الشّخص؟"

"هل تنوين القفز من هنا أيّتها البلهاء؟" باستنكارٍ قال هذا.

"وهل تركتم لي خيارًا آخر؟" أجابته عندما عرفت أنّه والد صديقتها.

- وماذا دهاكي ؟لماذا تريدين القفز؟
- كنت تتكلّم مع والدي وكان يسألك عن سبب استقبالك لي في منزلك، فأخبرته أنّها غلطة. أوتعلم ؟معك حقإنّي لأكبر غلطةٍ عرفتها البشريّة يومًا! أنا لا شيء، أنا فقط روحٌ أتت لتجعل حياة النّاس سيّئة! فلماذا يا عالم إن كنت تعلم أنّي مفسدةٌ للبهجة؟ ولكن لماذا تهدرون وقتكم على شيءٍ تافهٍ مثلي؟ أجيبوا!

فأحسّ الرّجل بالذّنب وأنّها ما عادت تحتمل المزيد من الخيبات، مع أنّه كان عازمًا إخبارها بالحقيقة على الرّغم من رفض والدها. فقال يواسيها "إنّ والدك يحبّك، فهو يخاف إن مسّك الهواء، وإضافةً إلى إنّك ترسلين البهجة إلى وجوه النّاس وخذي ابنتي دليلًا على كلامي."

- أجل يحبّني كثيرًا ولا يمكنك تخيّل مدى حبّه لي! لكنّي أودّ سؤالك ،هل الشّتاء هنا أقوى وأشدّ من شتاء المدينة؟
- بالطّبع، لكن لماذا.
- أرأيت ماذا أقصد بأنّه يحبّني؟
- ماذا، لم أفهم؟

- سأخبرك، قلت أنّ أبي يخاف عليّ من النّسمات أليس كذلك؟ بلى، ولكن أخبرني، إن كان يخاف عليّ إلى هذا الحد لماذا سيتركني هنا في منزلٍ على قمّة جبلٍ قربها غابةٌ خاف القمر من النّهوض ليلًا كي لا تأكله الذّآب؟
- وجهة نظر، لكنّك لم تنقضي ثاني جزءٍ من كلامي.
- أيّ جزء؟ أتقصد أنّي أفرح النّاس؟ لكنّي لم أفعل أيّ شيءٍ لابنتك.
- بلى فعلتي ،فهي كانت دائمة الخوف من مظهرها وهذه الأشياء.

ومن غير أن يشعر قال " فأختك تخشى من أن يتنمّر أحدٌ عليها..."

- أختي؟

فصدم الرّجل وأحسّ أنّه قال شيئًا ما كان يجدر البوح به. فقال محاولًا إصلاح ما حدث " أجل أختك، يمكنك اعتبارها كذلك إن أردتي."

- بالطّبع أرغب بذلك. ولكن هل يمكنني طرح سؤالٍ صغير؟
- أجل تفضّلي.
- من أين لك معرفة والدي؟

وهنا أضاف لكذباته كذبةً أخرى" كنّا أصدقاء دراسة." هذه الكلمات فقط.

وبينما الصّمت يداعل النّسمات، قام صوتٌ ينادي باسم الأميرة الحزينة آيزي، فامتقع لونها خشيةً أن يرى والد رفيقتها أخاها، وهي الّتي قالت أنّها تعيش وجدّتها بمفردهما. فاعتذرت منه وقالت أنّها ذاهبةٌ لعند جدّتها. وأنّه لا داعي ليقلق عليها، فقد صار بإمكانها رؤية طريق إلى بيتها. وبينما ذاهبةٌ إلى المنزل صادفت من ناداها ، وحاول إمساك يدها لكنّها أبعدته عنها ومشت وحيدةً إلى المنزل. وصلت ويا ليتها لم تصل فقد لطّخ دم العجوزة بياض قدميها، وهي لا تزال واقفةً تحدّق بتلك الجّثّة المتهالكة الهامدة، وأمام هذا المشهد المروّع راحت تبكي وتصرخ وتكسر كلّ شيءٍ يقف في تريقها. التفتت نحو من يسمّى أخاها فواجهته بنظراتٍ أحدّ من السّيف وقالت "قد قتلتها؟!"

وهو بكلّ برودٍ أجاب "أجل، قتلتها وأرحتك منها."

- ومن قال لك أنّي أريد أن أرتاح منها؟

- لماذا تركتي المنزل؟ ولماذا غضبت كثيرًا ونمت خارج المنزل؟ لماذا؟ كلّه بسبب جدّتك!
- إنّك قد عشت معها لسنواتٍ طوالٍ وأنت على معرفةٍ بأنّك موجودٌ بسبب غلطة أمّك. فلما لا تقتلها لأنّها قد أنجبتك بهذه الطّريقة؟

عمّ الصّمت المكان، لكنّ القلوب ما زالت تدقّ بقوّةٍ كبيرة، فتحكي عمّا يجول بالبال ويكاد يتعفّن داخلًا.

" وماذا سنفعل بها الآن؟" سألت آيزي

- ستشتركين بالجّريمة؟
- وما عساي أفعل؟ إنّك أحمق وقد قتلتها، فما العمل؟
- لا داعي للقلق، أنا سأزيلها وأنت ستنظّفين المكان.
- سأفعل ولكن...
- ولكن ماذا؟
- ماذا سنقول لأمّي إن اتّصلت أو جاءت إلى هنا؟
- إن اتّصلت ستجيبين، ولكنّها لن تأتي فما اعتادت فعل هذا.
- حسنٌ، ولكن سارع بحمل هذا لأنّ الرّائحة قظرة!

سويعاتٌ قليلةٌ وانتهيا من العمل كلّه أو من إخفاء آثتر الجّريمة. جلسا وجهًا لوجهٍ يحدّقان ببعضهما ،فبادر الأخ الأكبر وقال"هل أحببتني يومًا منذ أن عرفتني؟"

- لم أحببك ولا حتّى لثانيةٍ واحدة. لكنّي أحسّ أنّي بدأت أفعل بعد أن قتلتها، على الرّغم من أنّني حزينةٌ عليها.
- حزينة؟
- بعض الشّيء.
- لا يجب أن تحزني فالآن أصبحنا أنا وأنت لوحدنا... هنا...
- أجل ،لقد ارتحنا من تلك العجوز.
- بالطّبع.

... وأخذت القهقهات تعمّ الأرجاء.

ومع شآبيب الفجر الأولى استيقظت آيزي على صوت دقّات الباب، فراحت لتفتحه وقلبها يرجف. فتحته ببطئ وإذ بصديقتها تقف أمامها، فارتاح قلبها بعض الشّيء.

"آسفة لقد أيقظتك." قالت هيلغا.

- لا بأس، لقد كنت سأستيقظ بكلّ الأحوال.
- أين جدّتك؟

امتقع لون آيزي وتصرّفت كأنّها لم تسمع السّؤال وقالت " هل ترغبين بتناول الفطور، فأنا جائعةٌ جدًّا ؟"

- حسنًا لا بأس.

خرج ستيڤن من الغرفة وهو غافلٌ أنّ ضيوفًا ما هنا. دخل المطبخ وفوجئ بوجود فتاةٍ غريبةٍ في المنزل. لكنّه ومع ذلك لم يعرها اهتمامًا ولم يقف مصدومًا أمامها، بل صبّحها بالخير. بَيد أنّ هيلغا أبدت بعض التّفاجئ والذّهول، فكما تعلمون أنّ آيزي لم تخبر أحدًا بوجودٍ أيّ شخصٍ في هذا المنزل غيرها وجدّتها.

وبعد أن خلت الفتاتان بمفردهما بعيدًا عن ستيڤن، لم يعد يمنع أيّ شيءٍ هيلغا من أن تسَلَ صديقتها عمّا يدور بذلك العقل الخبيث.

ففغرت فاهها وقالت " أَي آيزي صديقتي... أودّ سؤالك عن هويّة هذا الفتى لكنّي أخشى أن تحسبيني متطفّلةً أو أنّ نيّتي عاطلةٌ أو ما شابه..."

لم تجب آيزي

ولكنّ هيلغا لن تستسلم بهذه البساطة " لقد قلتي أنّك تسكنين مع جدّتك وها أنا اليوم أراك مع شخصٍ لا أعرفه، وفوق ذلك لا يوجد أثرٌ لجدّتك، فما القصّى؟ أنا أرجو يا آيزي ألّا تخفي عنّي شيئًا، فهو ليس من قوانين الصّداقة إخفاء أيّ شيءٍ عن الصّديق حتّى ولو كان من أتفه الأمور وأصغرها!"

- هيلغا...

وهنا قوطع حديث الفتاتين، إذ أنّ المعنيّ بكلّ الحديث قد دخل وحملق بهيلغا وأجاب" أنا أخوها! "

" أخو من " بكلّ اندهاشٍ قالت هيلغا.

- أخو آيزي ، أوهل هنالك أحدٌ غيرها هنا؟
- ولكن كيف؟ فهي لم تحدّثني عنك يومًا.

" هو أخي من أمّي فقط. " أردفت آيزي.

- حسنًا فهمت وسأصدّق. ولكن، أين هي جدّتك؟
- هي في... في ال...

"ماتت!" وهذا كان أسرع جوابٍ عند ستيڤن حين رأى ارتباك أخته.

"ماتت؟! " استنكرت هيلغا بصوتٍ حاد.

- أجل مع الأسف.
- لكن كيف؟
- جلطةٌ قلبيّة. فهي كانت تعاني من مرضٍ في قلبها، وفجأةً في يومٍ وقعت على الأرض بسببه وماتت بعدها.
- أنا جدّ آسفة لم أكن أعرف. لكن، هل يا آيزي ستذهبين لعند أهلك أم سيأتون هم إلى هنا؟

"ربّما سيأتون، لا أعلم" قالت آيزي.

وهكذا انتهت زيارة هيلغا لرفيقتها. فلم تكد تخرج تلك من الباب حتّى خطر لآيزي أن تسأل أخاها عن المكان الّذي نامت فيه جدّتها النّومة الأبديّة، فأجابها أنّه قد وضع جثّتها المحطّمة داخل حجرٍ للثّعالب كي يأكلوها ولا يعلم أحدٌ بالأمر.

فجأةً رنّ الهاتف الّذي هو من عمر مالكته الجّدّة العجوز، فاغرورقت عيون الفتاة المسكينة بالدّموع. ربّما حزنًا على جدّتها (ولا أظنّ هذا)، أو ربّما خوفًا من المتّصل ألا وهو أمّها. اصفرّ وجهها وبدأت تتصبّب عرقًا، وتحوّل من لونه الثّلجيّ الأبيض إلى أصفرٍ شاحب، ولا يمكنك أن تعرف ما هي المشاعر الّتي سيطرت عليها.

" ألن تجيبي؟" سألها أخوها.

"وماذا أقول؟ " ردّت وهي مرتعدةٌ من الخوف.

- أيّ شيء، اكذبي! تستحم، نائمة، لا أعلم... أيّ شيء!
- حسنًا حسنًا، سأفعل ما بوسعي.

رُفعت السّمّاعة

" مرحبًا أمّي!"

- مرحبًا ابنتي، أين هي جدّتك؟
- تستحم.
- حسنًا ،دعيها تحدّثني عندما تنتهي.
- حسنًا. كيف حالكم جميعًا؟
- بخير، وأنت؟
- أيضًا بخير، لكنّي قد اشتقت لكم.
- ونحن كذلك عزيزتي. احزري من الّذي اشتاق لك أكثر من أيّ أحد.
- من؟
- أختك. إنّها تتحدّث عنك طوال الوقت.
- شكرًا لها لأنّها تذكّرتني؟!
- ماذا؟
- لا، لا شيء... أريد الذّهاب وداعًا.
- انتبهي على روحك.

أُقفل الخط.

" أحقًّا أنّك اشتقت لهم؟" باستهزاءٍ قال ستيڤن.

" وهل جننت؟ بحقّك، أنا أشتاق لهم؟!" وكان في نبرتها كثيرٌ من الإشمئزاز والحقد والقرف.

- حقًّا أنّك محتالة. لكن لماذا قلتي ما قلته عن أختك؟
- لأنّ أختي حمقاء كبيرة، وأنا أبغضها أشدّ البغض ، لا أتيقها. حتّى لو يمكنني قتلها لكنت فعلت ذلك منذ زمنٍ طويل!!
- على رسلك ستنفجرين. تعالي، تعالي نجلس لتخبريني لما هذا الحقد كلّه.

...

- أوّلًا : هي حقيرةٌ وضيعةٌ وأنا لا أعجبها.
ثانيًا : هي لا تجيد فعل شيء. حمقاء جدًّا وكلّ ما يهمّها في الحياة مضايقتي وتنغيص عيشتي. فدائمًا ما تراني جالسةً فتأتي وتستهزء بي. وحين تجد نفسها مخطأةً في أمرٍ ما وأنا على حق لا تنفكّ تضربني وتضايقني.
ثالثًا : إن أردت أنا أن أحدّثها بموضوعٍ أيّ موضوع، تهرّبت من سماعي وقالت أنّها لا تهتمّ لي ولكلامي.
رابعًا : هي أكبر عاهرةٍ موجودةٍ على وجه الكرة الأرضيّة. بحيث إن تحدّثت إلى احدٍ من خارج بيتنا خاطبته بكلّ لطفٍ وطيبة، كأنّها ملاكٌ بعثته السّماء ليرسل الطّمئنينة إلى قلوب النّاس. ليس هذا وحسب، بل عندما تخاطب الرّجال خصوصًا تغيّر نبرة صوتها حتّى تحسبها بريئةً ظريفةً والقطّ يأكل طعامها.
آهٍ لو تعلم مت بداخلي عنها! أودّ لو يمكنني، لو أمكنني فقط...
- أمكنك ماذا؟
- قتلها، قتلها والإرتياح من وجهها القظر داخل رأسي. هذا الوجه لا يفارقني، لا يتركني وشأني!
- ولماذا لم تقتليها بعد؟ فأنت لديك الجّرأة لفعل مثل هذه الأشياء على ما أظن.
- لو أنّ القتل ليس حرامًا لكنت فعلت ذلك منذ مدّةٍ طويلة.
- هكذا إذًا... "آيزي! "
- ماذا؟
- إن أردت... أنا...أعني أنّه يمكنني...
- ماذا ؟يمكنك ماذا؟
- قتلها!
- أجننت؟!
- قلت إن أردت.
- تعوّدت على القتل بهذه السّرعة؟
- أعجبني الأمر، إنّه شيءٌ مسلٍّ.
- حسنًا وافقت.
- ماذا ؟أتجدّين؟
- أجل فأنا لا أريد إحزانك.
- آهٍ كم أحبّك!...

- وأنا أيضًا أحبّك جدًّا. أنا لا أستطيع و صف شعوري، فأنا لا أحسّ أنّ حبّي لك كحبّ الإخوة، بل هو أقرب إلى الحبّ بين الزّوجين أو ما شابه. هل تفهمني؟
- آيزي !
- نعم.
- آيزي!
- أجل.
- آيزي!
- ماذا؟
- أحبّك ،أحبّك، أحبّك... أقسم أنّي أحبّك، أقسم بوجهك الملائكيّ أنّي أحبّك وأبادلك نفس شعورك. إنّي أحبّك وأريد أن أقضي معك عمري كلّه، كلّه بين أحضانك!!
- "ستيڤن!" ما أحلى وقع هذه الكلمة على لساني! أوّاه، إنّه لأحلى شعورٍ عرفته يومًا!!
- هل توافقين؟
- على ماذا؟
- على أن ننام معًا على فراشٍ واحدٍ يجمعنا معًا أخيرًا. وأن ننجب أطفالًا يعلّمون النّاس الحبّ والعفّة والطّيبة كما سنعلّمهم.
- طبعًا أقبل وأوافق على كلّ كلمةٍ قلتها. ولكن عدني أنّك ستتخلّص من أختي.
- أعدك يا أميرتي .

كانت ليلةً حميمةً جدًّا. اختلطت فيها الأرواح والأجساد كذلك. هي أوّل ليلةٍ تقضيها آيزي مرتاحة البال والفكر والجسد.

لكنّ هذه الرّاحة لم تبت إلّا ردحًا من الوقت هناك، فقد حلّ الصّباح وبان ذلك القرص الأصفر، فاضطرّ العاشقان إلى النّهوض. رتّبت الفتاة المنزل وقالت أنّها تودّ لو تقضي بعض الوقت بمفردها في الغابة. فوافق هو وذهبت.

راحت تمشي وكادت تطير فرحًا، كانت خطواتها لا تكاد تدوس الأرض من شدّة الغبطة الّتي كانت تغمرها. وفجأةً ومن دون سابق إنذارٍ رأت دمًا على أوراق الشجار المرميّة على الأرض أمامها، فاندهشت وخيّم الرّعب والقلق عليها. لم تعد تستطيع التّحمّل أكثر، فهي تودّ لو تعرف من هو صاحب هذا الدّم بأقرب وقت.

" هل هو دم جدّتي؟ لا لا، لا أعتقد ذلك. قال ستيڤن أنّه رماها في حجرٍ للذّآب!" هكذا أضحت تحدّث نفسها.

تتبّعت الفتاة النّقاط الحمراء حتّى انقطع وجودها. فما العمل الآن؟ رفعت رأسها قليلًا فتفاجأت بوجود رجلٍ عجوزٍ يتّكئ على الشّجرة، وكان مصدر الدّم من يده، فقد كانت مجروحةً جرحًا عميقًا جدًّا.

" ساعديني يا ابنتي! "بكلّ أسًا طلب العجوز من الفتاة.

- لا تقلق، سآخذك للمنزل... هيّا تعال...

مضوا للمنزل وعلامات الإستغراب والإستعجاب استملكت وجه آيزي. والرّجل يكابر على جراحه، فهو يريد أن يتكلّم مع آيزي، يريد إخبارها بشيء. ولكن ما هو هذا الشّيء المهمّ الّذي يريد البوح به؟

وصلوا إلى المنزل أخيرًا. دخلوا وندهت آيزي حبيبها (أو أخاها إن صحّ التّعبير)

" من هو هذا الرّجل؟ ما بالك يا عم؟" بكلّ استهجانٍ قال ستيڤن.

" ساعدني يا ولدي! ألديك أيّ معدّات إسعافٍ أوّليّة؟ألديك ما أضمّد به جراحي؟

- أجل، أجل لدي... حسنًا سأجلبها.

...

- ستألمك قليلًا عليك التّحمّل.
- تحمّلت كثيرًا،لن يضايقني هذا الجّرح البسيط!

" من أين أتيت؟" قالت آيزي.

- اسمك آيزيلينغ ،وآيزي كاختصار. و والدك يدعى كيڤن...

" حسنًا انتهيت من تضميد الجّرح. ولكن سيسوء الحال أكثر إن لم تذهب إلى المشفى حالًا!"

- أودّ الكلام مع آيزي أوّلًا.
- وماذا الّذي تريد قوله لي؟ أنا لا أعرفك، من أنت تكلّم؟!
- أنا جدّك!

- جدّي ؟! كيف وأنا لا أملك سوى جدّةٍ واحدة؟
- بالحديث عنها، أين هي؟ فقد كنت أنوي أن أتكلّم معها أيضًا.
- هي... كيف سأقولها...

" ماتت. " هو الشّخص الّذي يساعد من يحب.

- ماتت ؟! كيف؟ كيف ماتت؟!
- جلطةٌ قلبيّة.

وهنا أيقن الجّدّ أنّ تكهّنه قد أصاب كبد الحقيقة. فاسحّت دموعه وخيّم الحزن على قلبه، وبدا واضحًا أنّ الخبر الّذي سمعه كان المصيبة الّتي تكمّل كلّ المصائب من قبلها. "والآن ما العمل؟" هكذا أضحى يسأل نفسه بصوتٍ مسموع " لن تغفر لي ذنبي أبدًا! لن أستطيع العيش بدون أن تصغي لي وتسامحني!"

فقالت آيزي غير مباليةٍ ببكائه " هل جئت لتقول أنّك جدّي فقط، أو أنّه لديك كلامًا آخر؟"

توقّف الجّدّ عن البكاء وقال " أنت ابنة كيڤن و كيڤن هو ابني، فما اسم أمّك؟

- مهلًا، أنت أب والدي؟ لكن كيف وهو قال أنّك متّ؟
- أنا والده الحقيقي...
- ماذا؟
- سأخبرك بكلّ شيءٍ. ولكن اسم والدتك ماهو؟
- كِلي.

وقف دون حراكٍ وغرق بلجّة فكره. فردّ برجفةٍ وخوفٍ وقال" الكنية... "

- ماذا؟
- الكنية! ما كنيتها؟
- هي ووالدي يملكان نفس الكنية... ولكن لماذا؟ هل ما في بالي حقيقي؟ هل هما...

صمت...

وفجأةً رنّ الهاتف... فارتعد الإثنين من الخوف!

" أجيبي يا آيزي." قال ستيڤن.

" من المتّصل؟ " قال العجوز.

"إنّها أمّي " بحسرةٍ أجابت الفتاة.

- دعيني أجيب أنا إن سمحت.
- حسنًا أجب.

" مرحبًا يا ابنتي!" قال يخاطب الهاتف.

- ابنة من ؟ من أنت؟
- أنا والدك...
- والدي ؟! هو ميت... ليس لديّ سوى أمّي! أين آيزي، أين ابنتي؟ وأين أمّي؟ من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟
- اهدأي أرجوك. أنا أطلب منك المجيء كي أطلعك على كلّ شيء.
- سآتي، ولكن آيزي أهي بخير؟
- أجل حفيدتي على ما يرام.

أغلقت الخطّ ونست أن تسَل عن أمّها. نظر الجّدّ في عيني حفيدته، فرأى بداخلهما خوفًا منه كبيرا، فطمأنها وقال أنّ القصّة ستتّضح عندما تصل والدتها.

وبعد وقتٍ طويلٍ من الإنتظار لم تعد آيزي تحتمل أكثر، فقالت تخاطب ذاك العجوز " يبدو أنّ أمّي لن تأتي، فأرجوك وأتوسّل إليك أن تتكلّم، لأنّ صبري قد نفد ولم أعد أستطيع الّحمّل أكثر!"

- كلّا يا عزيزتي، علينا انتظار أمّك قليلًا بعد. ف من حقّها أن تعلم بالحقيقة قبل أيّ أحد. ولكنّي لم أتعرّف إلى هذا الفتى بعد، فما رأيكي أن تحدّثيني عنه بينما نحن منتظرين.
- إنّه حبيبي ويدعى ستيڤن.
- حبيبك؟!
- أجل. ما رأيك أن تخبره أنت يا ستيڤن فهو لم يصدّقني؟

" عليك تصديقها، فحبيبتي لا تكذب إطلاقا." كما أمرته حبيبته فعل.

- لا يزال تصديقكما صعبٌ علي. أنت صغيرةٌ يا آيزي على مثل هذه الأمور، وهو كذلك. عوضًا عن أنّكما تشبهان بعضكما كثيرا، فقد حسبتكما أخوة.
- وهل ستصدّق إن فعلنا هذا؟

فقبّلا بعضهما من دون أيّ خجل. وهنا دخلت الأمّ فجأةً ورأتهما على هذا الحال المقزّز. فصدمت وصرخت بأعلى صوتها " ماذا تفعلان؟! أنتما أخوة! كيف تجرآن؟!"

" وإن كنّا أخوةً يا أمّي، فالحبّ لا يعرف أخًا أو زوجًا! أليس كذلك؟" قالت آيزي تريد استفزاز أمّها.

- آهٍ يا آيزي ما الّذي فعلته؟! ستيڤن، ستيڤن... لماذا تفعلان هذا بي؟ لما؟!

" أمّي، أنا أحبّها حقًّا وأنت لا يمكنك منعنا عن هذا! " قال ستيڤن.

- ما الّذي تقوله ياستيڤن؟ كنت أحسبك أنّك أنت العاقل بيننا.
- وكيف لك أن تحسبيني كذلك وأنت لم تمكثي معي ولا ليومٍ واحدٍ أو تحدّثتي معي بأيّ موضوعٍ كي تعرفي أنّي واعٍ أو أحتاج إلى بعض النّصائح من خبرتك في الحياة؟
- أنا آسفةٌ حقًّا، ولكن...

جثت أمامه وودّت لو يسامحها.

- لن ينفع أسفك. كان بوسعك أن تتركي ذاك الرّجل الّعين وتهتمّي بزوجك. لكنّي أشكرك على إنجابي، فلولاك ما كنت لأتعرّف على هذا الملاك أمامي. حقًّا أشكرك.
- أنا آسفةٌ بحقٍّ يا بني. أرجوك ابتعد عنها، أنتما أخوين، هذا لا يجوز!
- وهل تجوز الخيانة؟ أو أنّك أنت هي المحقّة دائمًا؟ أمّي... أنا أعلم أنّه لا يجوز، لكنّي أحبّها.

" كفاك تبريرًا يا عزيزي فلا أظنّها تعلم ما هو معنى الحب." قالتها آيزي بكلّ جرأة.

لكنّ الأمّ انهارت بالبكاء بدلًا من الصّراخ عليهما.

والجّدّ يقف من بعيدٍ يتأمّل هذه الفاجعة الّتي أصابت ابنته. فجهر متحدّثًا إلى نفسه " تروّى قليلًا ولا تخبرهم الآن، فعلى ابنتك أن ترتاح قبل أن تعرف بالحقيقة. " لكنّ أحدًا لم يسمعه.

خرجت آيزي وحبيبها من الغرفة وبقي العجوز مع ابنته، فقرّر أن يخفي الحقيقة عنها وألّا يخبرها بشيء. حاول هذا أن يهدّأ من روعها. وبعد بكاءٍ وأنين متواصلين رفعت رأسها وخاطبته قائلة" قلت أنّي ابنتك، فماذا كنت تقصد بهذا القول؟ أخبرني، فأنا أمامك الآن."

- أنت الآن تعبةٌ ومنهارة. يجدر بك أن ترتاحي أوّلًا وغدًا لناظره قريب.

حلّ الّيل باكيًا على حال الأمّ المضطربة، فقد تحمّلت كثيرًا اليوم. لكنّها ليست النّهاية أو خاتمة الأحزان كما يقولون، بل الحزن والألم قد بدآ للتّو.

وبينما هي نائمةٌ دخل والدها الغرفة وجلس على الكرسيّ أمامها وحملق إليها وقال بداخله " كنت مسافرًا، فماذا جاء بي إلى هنا؟ هي غلطتي منذ البداية. أأخبرها أم أصمت؟ هل أترك رسالةً أكتب بداخلها الحقيقة المريرة؟ لكنّ الحياة ستمضي، حتّى إن لم تسامحني. والغلطة الّتي اقترفتها سأعاقب عليها عاجلًا أم آجلًا."

مرّ الوقت بسرعة، وحان للّيل أن ينجلي، فلملم القمر نجومه وذهب إلى بلدٍ آخر. لم ترد الأمّ أن تنهض. بل هي لم ترد رؤية وجوه أطفالها. وبينما هي محدّقةٌ بالحائط دخل العجوز وصبّحها طالبًا منها أن تنزل لتناول الطّعام. فرفضت طلبه ونظرت إليه بعينين حمراوين وقالت بنبرة غضب " قل لي الحقيقة، أخبرني بها الآن!"

- يجب على الجّميع معرفتها. لذا سأنتظرك وولداك تحت لتنزلي.

دقائق قليلة.

وصلت الأم.

لم تكن نظراتها تجاه ولديها نظرات غضب، لأنّها لم تنظر إليهما أصلًا.

... جلست ولم تنطق بكلمة...

ظلّل الصّمت المكان، إلى أن بدأ الجّدّ بسرد قصّته

" كنت وأمّك أفضل زوجين، وكنّا نُحسد من قبل جميع النّاس على حبّنا الطّاهر العفيف. وفي يوم، قالت لي أمّك أنّها حامل، وأنا فرحت بالطّبع. لكنّا لم نعرف جنس الجّنين إلّا حين ولد. لأنّه لم يكن هناك أجهزةٌ حديثةٌ كاليوه. وعندما حان موعد الولادة، تبيّن لنا أنّها كانت حاملًا بتوأم ،فتاةٌ وصبي، أنت وأخوك. وأنا كنت أكره الصّبيان لحدّ الموت، كما ولم يكن لديّ المال الكافي لأربّي طفلين. لذا قلت لها أن أبيعه، لكنّها طبعًا لم توافق ورفضت الفكرة رفضًا قاطعًا. وقالت أنّه بوسعها العمل كي تأمّن متطلّبات عيشه. لكنّي رفضت أنا الآخر وأعطيته لعائلةٍ لم لا بغنيّة ولا بفقيرة، بل كان مستواها مقبولًا. حين علمت بفعلتي، غضبت وجنّ جنونها، وطلبت الطّلاق. لكنّي لم أكن أودّ أن أطلّقها، لذا سافرت وتركتها تربّيك لوحدها. وها أنا اليوم أتيت باحثًا وعنك حتّى أعتذر وأطلب سماحكما. وحين وصلت لهنا، علمت أنّ كيڤن قد تزوّج وأنّك أنت هي زوجته. وأنا أخشى أن تكوني قد تزوّجته وهو أخاك...

- ماذا تقول؟! أنا قد تزوّجت أخي؟! وما هذا الهراء الّذي قلته؟ وكيف عرفت أن كيڤن هو ابنك؟
- يا ابنتي، إنّ كنيته على كنيتي وأنت كذلك. حين ولدت أسميناك كِلي، وأسميناه باسمه الحالي!
- ما هذه السّخافات الّتي جئت بي لسماعها؟ ليس لديّ أيّ وقتٍ لهذه التّرّهات!

" أجل ليس لديها وقت، فقد كانت مسافرةً مع أبي وأختي إلى بريطانيا..."

- اصمتِ أنتِ أيّتها الوقحة ،لم ينتهي حسابك بعد! لنعد إلى موضوعنا ، أين هي أمّي كي تقول الحقيقة؟
- لم أجدها، قالوا أنّها توفّيت...
- ماذا ؟توفّيت؟ أين، متى؟ بما لم أعرف؟ آيزي... ستيڤن... تكلّما لماذا لم تخبراني؟

" أمّي... قد ماتت منذ عدّة أيّام، لكنّي لم أشأ إخبارك حين اتّصلت. ولكنّك علمت الآن. " قالت آيزي.

- ولما لم تقولي حين اتّصلت؟ لقد قلت أنّها تستحم، والآن ماتت! ما هذا الهراء؟! أين هي؟ كيف ماتت؟

- كيف سأخبرك... لقد تشاجرنا مع بعضنا، ومن ثمّ خَرَجْتُ من المنزل غاضبة، وهي قامت بلحاقي. كنت أقف حينها عند حافّة الجّرف، فأتت ووقفت بجانبي، وفجأةً وضعت يدها على قلبها ووقعت من على الحافّة. حاولت إنقاذها، لكنّي لم أستطع...
- أمّي... إلى أين ذهبت وتركتني... ؟!

بدأت تبكي. فحاول الجّدّ أن يخفّف عنها، لكنّها رفعت رأسها فجأةً وقالت " والآن ماذا؟ كيف سنتأكّد أنّك والدي ووالد زوجي؟"

- علينا إجراء اختبار الحمض النّووي.
- حسنًا. آيزي... وضّبي أغراضك سنذهب .

" إلى أين؟"

- للمنزل. وستيڤن سيبقى هنا.
- لن أترك ستيڤن وأرحل
- بل ستأتي معي. وحسابك في المنزل حينما نصل.
- أمّي العزيزة... كم أكرهك! رميتني هنا ولم تقولي وداعًا. ولو لم يطلب والدك المجيء لما تذكّرتني. فأرجوك، انسِني كما كنت تفعلين دائمًا. وطلبٌ أخير ، أوصلي سلامي الحارّ إلى أبي، أقصد خالي!
- أيّتها البلهاء! لو كنت أعلم أنّه أخي لما كنت تزوّجته، أترينني حمقاء مثلك؟!
- لا بل أكثر منّي!
- اخرسي...! وضّبي أغراضك على الفور هيّا؟!
- لن أصمت ولن أرحل، وأنت لا يمكنك فعل شيء.

" آيزي، يا حلوتي! هيّا اذهبي معها كما طلبت..."

" ماذا تقول يا ستيڤن؟!"

" هيّا يا عزيزتي لا تقلقي... " وغمزها بعينه بينما لم ينتبه أحد.

" حسنًا يا حبيبي سأذهب! سأشتاق إليك... لا تنسني!" قالتها بكلّ حسرة.

...يتبع...